

قصّتان

عيد سيّدة سيدنايا

و

فاجعة حب

مقدمة المؤلف

ان الغرض الذي وضعتُه نصب عيني والقصد الذي رميت إليه حين شعرت بدفع داخلي يدفعني إلى تأليف القصص كانا: تصوير حياتنا الشعبية واستخراج دروس قومية واجتماعية منها. بل اني شعرت بدافع يدفعني إلى هذا الغرض وهذا القصد كالدافع الفني الذي حدا بي إلى إنشاء قصتي عيد سيّدة سيدنايا وفاجعة حب، أي أن الغرض والقصد المذكورين لم يكونا هما الدافع الذي حملني على مكابدة الأدب القصصي، ولو كان الأمر كذلك لما وجدت مبرراً للاقدام على هذا العمل الشاق واتخاذ هذه الخطوة الخطرة.

بنيت القصة الأولى على مشاهداتي الشخصية في عيد سيّدة سيدنايا المشهور الذي حضرته للمرة الأولى سنة 1930 فجاءت قصة بسيطة الموضوع الحيوي إلا انها دقيقة الموضوع الفني غنية بمظاهر الحياة الشعبية. ويرى القارئ اني انتخبت لبطولة هذه القصة شخصاً نادراً جهزته الطبيعة بمزاج قوي وتركب فيه خلق خاص فهو رجل وحده مستقل بذاته استقلالاً نفسياً يفردّه عنا حتى اننا كثيراً ما نسيء اختباره وفهمه، ولكني لم أجتهد ان أجعله رجلاً خارقاً خارجاً عن حدود الرجال الطبيعية أو شخصاً خيالياً يستحيل أن يوجد في عالمنا هذا أو في محيطنا القومي، بل اني اجتهدت كثيراً في انتقاله من بيئتنا فهو شخص منا وحي من أحيانا وقد

عنيت عناية خاصة بوصف المكان والزمان اللذين حدثت فيهما القصة وتصوير المظاهر الشعبية التي رافقت حوادثها، فالدروس التي تتضمنها قصة عيد سيدة صيدنايا هي دروس في شخصية أحد أفراد الشعب العادية لا في المواضيع النظرية والفلسفية.

أما القصة الثانية فهي ذات موضوع حيوي دقيق له علاقة كبيرة بحياتنا الاجتماعية وآدابنا القومية. ويتناول موضوعها كبرى قضايا حياتنا الاجتماعية والقومية والعصرية: الصراع بين عهد الخمول وعصر التنبه والنهوض، العراك بين الأناثية والخير العام، بين المادية الحقيرة والنفسية السامية، بين الحيوانية والانسانية، بين الرزيلة والفضيلة، وبطلها "سليم" شخص ذو نفسية فنية شعرية حساسة إل الدرجة القصوى، كما بينت ذلك في بداءة القصة.

ضمنت فاجعة حب انتقاد بعض عاداتنا وتقاليدنا القديمة ونظرة في بعض نواحي حياتنا الاجتماعية العصرية وبعض المسائل النفسية المثالية. وقد تناولت فيها، عدا البطل، أشخاصاً آخرين كالسيدة ك. والسيدة و. والسيد ج. وزوجه والشاب مخائيل والأنسة دعد، واعتنيت كثيراً في انتقاء هؤلاء الأشخاص من مجتمعنا حتى ظهوروا بصفات طبيعية لا تكلف ولا خيال فيها. أما الحديث الموسيقي الذي اثبتته في صدر القصة فهو درس خاص قصدت أن أشرح فيه خلاصات النظرية العصرية الراقية في الموسيقى وأغراضها. وعسى أن أكون توفقت في ذلك. واعتقد ان نفسية سليم ودعد تمثل ظاهرة نفسية جديدة في حياتنا الاجتماعية مختلفة كل الاختلاف عن النفسية البادية في جميع الأشخاص المحيطين بهما.

وقصدي الأول من هذه القصة ان أوضح الحالة المادية المسيطرة على عقولنا ونفوسنا حتى أننا نجبن عن مواجهة الحياة الفنية ونفضل الخمول على المجازفة ببعض راحتنا، ونخاف كثيراً من الوقوع في صعوبات الحياة ومجابحتها، ولا نشعر ان للانسان قيمة غير قيمته المادية. بل اننا مستعدون لقتل العواطف الحية من أجل تأمين راحة الجسد. ورأيت ان أبين فيما إغراق مجموعنا في إهمال فضائل كثيرة ضرورية لإرتقاء نفسيتنا وعقليتنا ولو أدى

اهمالها إلى القضاء على كل أمل بحياة حرة راقية وكل مطلب أعلى تتجه نحوه بصائرنا.

ولا أكتف القارئ خشيته من ان ينحى بعض الكتاب الانتقاديين باللائمة علي لجعلي القصة فاجعة حب انتصرت فيها الحيوانية على الانسانية والرذيلة على الفضيلة فعاكست بذلك المبدأ الذي اتبعه شكسبير في قصته الشعرية التي صدرت فاجعة حب بببت منها وهو المبدأ القائل بضرورة تأييد الفضيلة وجعلها دائماً منتصرة. والحقيقة اني أنا نفسي ترددت كثيراً في بادىء الأمر حتى اتبع المبدأ المشار إليه ولكنني عدت فرجحت النظرية التي عملت بها وهي: ان انتصار الفضيلة الدائم في الأدب قد يقلل من أهمية الدعوة إلى نصرتها في الحياة. ولما أمعنت النظر في ظروف القصة وجدت الأسباب الروائية الخاصة بها والأمانة للواقع توجب جعل الختام على الوجه الذي وضعته، خصوصاً بعد أن درست حالة البطل سليم ووجدت أنه سابق زمانه بعقد او عقدين من السنين على الأقل، فضلاً عن أن ظروف المحيط والبيئة يجعلان النتيجة التي اخترتها أكثر انطباقاً على الواقع.

أرجو أن أكون قد أحسنت انتقاء الغاية وأصبت اختيار السبيل إليها.

طُبعت هاتان القصتان للمرة الأولى في بيروت عام 1933.